

قصص

الأنبياء

محمد

صلى الله عليه وسلم (١)

بنو إسماعيل

بتكلم : أ. عبد الرحيم عبد القصود

رسوم : أ. عبد الشافى سيد

إشراف : أ. حمدى مصطفى

57





النَّبِيُّ مُحَمَّدُ ﷺ هُوَ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِينَ ، وَأَشَرَّفُهُمْ
حَسْبًا ، وَأَفْضَلُهُمْ نَسِيًّا مِّنْ قَبْلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ ..
فَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ ، وَجَدُّهُ
الْأَكْبَرُ هُوَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ آدَمَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ

والسلام .. وأمّهُ هي السيدة آمنة بنت وَهْبٍ
 أشرف نساء العرب ، وأفضلهم حسباً ونِسْبَاً ..
 وقد جاءَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استجابةً لِدُعْوَةِ أَبِيهِ
 إِبْرَاهِيمَ ، خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَصْدِيقَةً لِبُشْرَى
 عِيسَى فِي الْإِنْجِيلِ بِنَبْيٍّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ اسْمُهُ أَحْمَدٌ ..
 فَقَدِيَّاً كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَبْنِي الْكَعْبَةَ الْمُشْرَفَةَ مَعَ وَلَدِهِ
 إِسْمَاعِيلَ ، وَدَعَا رَبِّهِ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ الْعَرَبِ رَسُولاً مِنْهُمْ ..
 يَوْمَها دَعَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبِّهِ قَائِلاً :

..... رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنْكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ *
 رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ، وَمَنْ ذَرْتَنَا أَمْمَةً مُسْلِمَةً
 لَكَ ، وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا وَتَبْ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ التَّوَابُ
 الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتَلوُ عَلَيْهِمْ
 آيَاتِكَ ، وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابُ وَالْحِكْمَةُ وَيُزَكِّيُّهُمْ إِنْكَ أَنْتَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *

[سورة البقرة: ١٢٧-١٢٩]

وقدِيماً أَسْكَنَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ زوجَتَهُ هَاجِرَ ، وَابْنَهُ
الرَّضِيعَ إِسْمَاعِيلَ مَكَّةَ ، وَقَدْ كَانَتْ مَكَّةُ وَقْتَهَا
صَحْرَاءُ جَرْدَاءَ ، لَيْسَ فِيهَا زَرْعٌ وَلَا مَاءً ، وَلَمْ يَكُنْ
أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ يَسْكُنُهَا ..

وَدَعَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ يَأْتُونَ لِعِمَارَةِ
مَكَّةَ ، وَأَنْ يَرْزُقَ أَهْلَهَا مِنَ الشَّمَراتِ ..

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ (تَعَالَى) دُعَاءَ نَبِيِّهِ وَخَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَفَجَّرَ الْمَاءُ تَحْتَ قَدْمَيِ الصَّغِيرِ إِسْمَاعِيلَ ، وَأَمَّهُ
تَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ بَحْثًا عَنِ الْمَاءِ ..
وَسُمِيَ النَّبْعُ الَّذِي تَفَجَّرَ مِنْهُ الْمَاءُ تَحْتَ قَدْمَيِ
الصَّغِيرِ إِسْمَاعِيلَ «بَئْرُ زَمْزَمَ» ..

وَلَا تَفَجَّرَ الْمَاءُ أَنْبَتَ اللَّهُ الزَّرْعَ حَوْلَهُ ، وَقَدَمَتْ
بعضُ الْقَبَائِيلُ الَّتِي كَانَتْ تَرْتَحُلُ فِي الصَّحَراءِ إِلَى
مَكَّةَ وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا فَعَمِرَتْ مَكَّةَ بِالنَّاسِ ، وَلَمْ يَعْدْ
إِسْمَاعِيلُ وَأَمَّهُ وَحِيدِينَ بِهَا ..

وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِ الْقَبَائِيلِ الَّتِي قَدَمَتْ مَكَّةَ وَاسْتَقَرَّتْ
بِهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَبَيلَاتٍ قَدَمْتَانِ مِنْ بَلَادِ الْيَمَنِ ،



وَهُمَا قَبْلَتَا جَرْهَمْ وَقَطْوَرَاءِ ..
كَانَتْ جَرْهَمْ وَقَطْوَرَاءِ أَبْنَاءِ عَمُومَةِ ، وَقَدْ اسْتَقْرَرَتْ
جَرْهَمْ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، وَاسْتَقْرَرَتْ قَطْوَرَاءِ بِأَسْفَلِهَا ..
وَكَانَ يَرْأُسُ جَرْهَمْ رَجُلٌ يُسْمَى مَضَاضُ بْنُ عَمْرُو
الْجَرْهَمِيُّ ، وَيَرْأُسُ قَطْوَرَاءِ رَجُلٌ يُسْمَى السَّمِيدَعُ ..
فَلَمَّا كَبَرَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ تَزَوَّجَ
مِنْ قَبْلَةِ جَرْهَمْ ، وَأَنْجَبَ أَبْنَاءَ ..
وَلَا بْنَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ بِمَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ ،
تَنْفِيذًا لِأَمْرِ رَبِّهِ (تَعَالَى) ، كَانَ الَّذِي يَلِى أَمْرَ الْبَيْتِ
هُوَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا انْتَقَلَ إِسْمَاعِيلُ إِلَى جَوَارِ رَبِّهِ وَلِي
أَمْرَ الْبَيْتِ بَعْدَهُ أَبْنَهُ نَابِتَ ، مَا شَاءَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَلِيهِ ..
ثُمَّ وَلِيَ أَمْرَ الْبَيْتِ بَعْدَهُ جَدُّهُ مَضَاضُ بْنُ عَمْرُو
الْجَرْهَمِيُّ ..
وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ بْنُو إِسْمَاعِيلَ وَبْنُو نَابِتَ
يَعِيشُونَ فِي مَكَّةَ مَعَ جَدِّهِمْ مَضَاضُ بْنُ عَمْرُو ،
وَأَخْوَالَهُمْ مِنْ جَرْهَمْ ..

ولم يلبث الخلاف أن دب بين قبيلتي جرهم وقطوراء واعتدى بعضهم على بعض ، بسبب تنافس كلٌّ منهما على ملك مكة وولاية البيت الحرام ، التي كانت مع مضاض بن عمرو ..

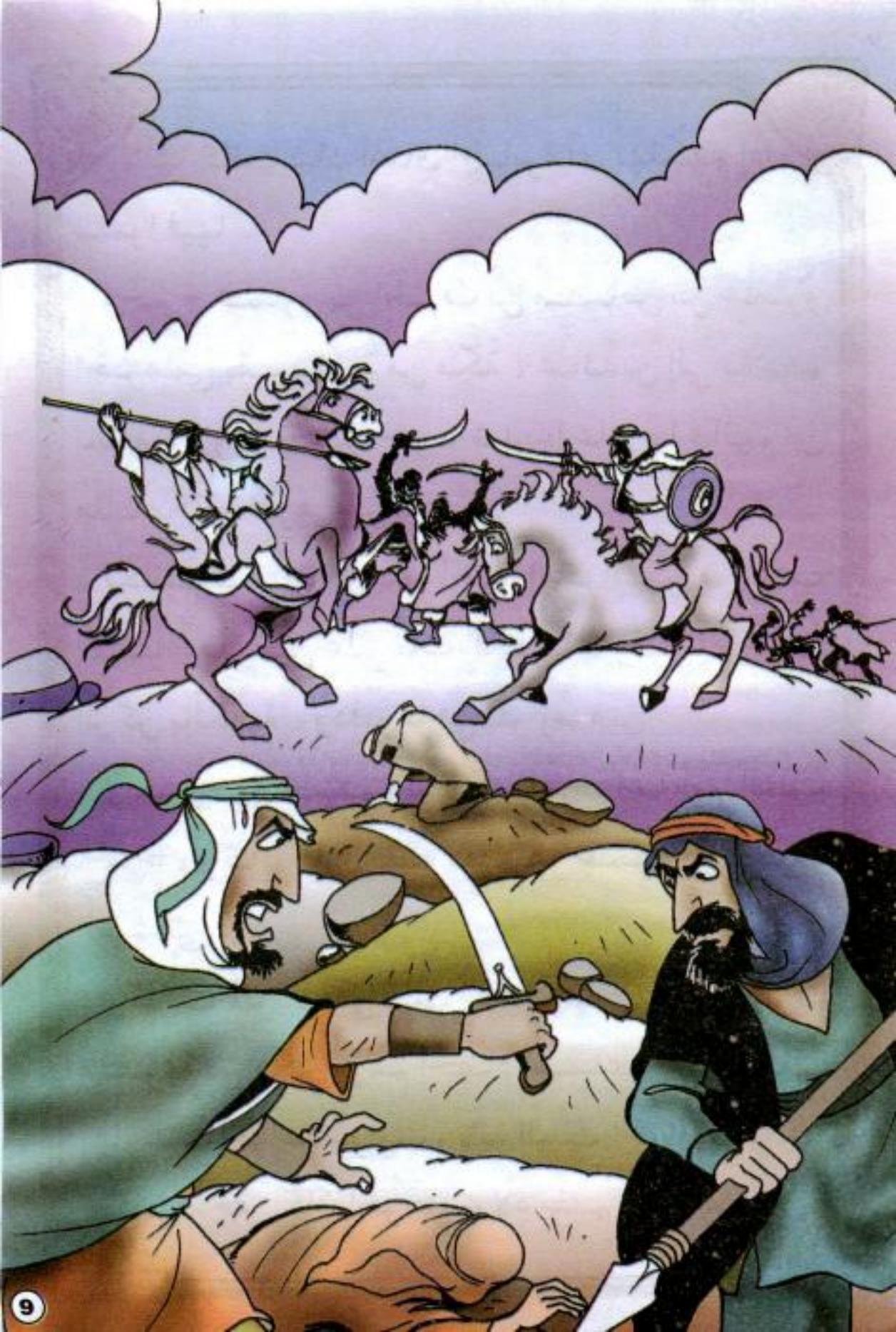
وخرجت قبيلة جرهم ومعها بنو إسماعيل وبنو نابت بقيادة مضاض بن عمرو ، ومعهم عدتهم من السيوف والرماح ، وخرجت قبيلة قطوراء بخيالها ورجالها يقودها السميدع ، والتقى رجال القبيلتين فاقتتلوا قتالاً شديداً .. وقتل السميدع فانهزم قطوراء ، ثم مالت القبيلتان للصلح ، فاصطلحوا واتفقوا على أن يكون لمضاض بن عمرو ملك مكة وأمر البيت الحرام ..

وانتشر أبناء إسماعيل بمكة ، فتكاثروا وزاد عددهم ، وبرغم ذلك تركوا أمر ولاية البيت الحرام لأحواهم من جرهم ، برغم أنهم كانوا أحق بها منهم ، وذلك تعظيماً للبيت الحرام ، ولمكة بلد الله

الحرام ، حتى لا يكون بها بغي أو قتال .. فلما
ضاقت مكة على بنى إسماعيل ، انتشروا في البلاد
من حولها ومعهم دين أبيهم إسماعيل ، فلا يعاد لهم
أحد إلا نصرهم الله عليه ..

أما جرهم فقد استمروا على ولاية البيت الحرام ،
لکنهم بغو وظلموا بعكة واستحلوا خصالا من حرمة
البيت ، فظلموا من دخل مكة من غير أهلها ، وأكلوا
مال الكعبة الذي عهد إليها ، لينفق على إطعام
حجاج بيت الله الحرام وسقايتهم ..

فلما رأت بعض القبائل بغي جرهم وظلمهم لحجاج
بيت الله الحرام ، استعدوا لحربهم وإخراجهم من مكة
بلد الله الحرام ، وأندروهم بالحرب .. وقاتلت قبيلة
بني بكر وقبيلة غبشان جرهم فغلبوا عليهم وأخرجوهم
من مكة بظلمهم .. وكانت مكة في الجاهلية لا تقر
فيها ظالما ولا معتديا ، فلا يبغى فيها أحد إلا آخر جنته ،
ولا يغزوها ملك ليستحل حرمتها إلا هلك
مكانه .. ويقال إن مكة سميت بـ «بكة»



لأنها كانت تُبَكِّ أعناقَ الجِبَابِرَةِ أَى تُهْلِكُهُمْ إِذَا

ظَلَمُوا فِيهَا ..

وَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَرْثَمَ بْنُ مَضَاضَ بْنِ عَمْرُو
الْجُرْهُمِيُّ بِقَبْيَلَةِ مِنْ مَكَّةَ ، عَائِدِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ
بِالْيَمَنِ ، وَقَدْ حَزَنُوا حَزْنًا شَدِيدًا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ
مُلْكِ مَكَّةَ وَخَيْرِهَا وَبِرْكَتِهَا ..

لَكُنُّهُمْ قَبْلَ أَنْ يَرْحُلُوا أَخْذُوا غَرَّ التَّيْنِ مِنْ ذَهَبِ
كَانُوا مُعْلَقْتِينَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ ، وَكَذَلِكَ حَجَرُ
الرُّكْنِ بِالْكَعْبَةِ ، وَدُفِنُوا فِي بَئْرِ زَمْرَم ..

وَبَعْدَ رَحِيلِ جَرْهِمِ وَلِيَتْ قَبْيَلَةِ خُزَاعَةِ أَمْرِ الْبَيْتِ
الْحَرَامِ ، وَكَانَ الَّذِي يَلِيهِ مِنْهُمْ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَرْثَمَ
الْغَبَشَانِي ..

وَكَانَتْ قُرَيْشٌ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُجْمُوعَةً بِيُوتٍ
مُتَفَرِّقَةٍ فِي مَكَّةَ ، وَهُمْ أَحْفَادُ إِسْمَاعِيلَ الَّذِينَ بَقَوْا
بِهَا وَظَلَّتْ خُزَاعَةُ تَتَوَارَثُ وَلَاهِيَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ كَابِرًا عَنْ
كَابِرٍ ، حَتَّى كَانَ آخِرَ مَنْ تَوَلَّهُ مِنْهُمْ رَجُلًا يُسَمَّى

حُلَيْلُ بْنُ حَبْشِيَّةَ بْنُ سَلَوْلَ بْنُ عَمْرُو الْخُزَاعِيُّ ..
وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ قُصَيِّ بْنَ كَلَابَ تَزَوَّجَ مِنْ حَبْسَيَ بَنْتَ
حُلَيْلٍ ، وَأَنْجَبَ مِنْهَا عَبْدَ الدَّارَ وَعَبْدَ مَنَافَ وَعَبْدَ الْعَزَّى
وَعَبْدَا ، فَلَمَّا اَنْتَشَرَ وَلَدُّ قُصَيِّ وَكَثُرَ مَالُهُ ، وَعَظُمَ
شَرْفُهُ فِي مَكَّةَ ، مَاتَ حُلَيْلُ ، وَرَأَى قُصَيِّ أَنَّهُ أَوْلَى
بِأَمْرِ الْكَعْبَةِ وَمُلْكِ مَكَّةَ مِنْ حُزَاعَةَ ..

وَيَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ قُصَيِّ مِنْ قَرِيْشٍ ، وَقَرِيْشٌ هِيَ
أَعْلَى أَبْنَاءِ إِسْمَاعِيلَ وَأَعْزَّهُمْ وَأَكْرَمُهُمْ ، وَلَذِلِكَ فَهُمْ
أَوْلَى بِأَمْرِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ دُونَ سِوَاهُمْ مِنَ الْقَبَائِلِ ..
وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

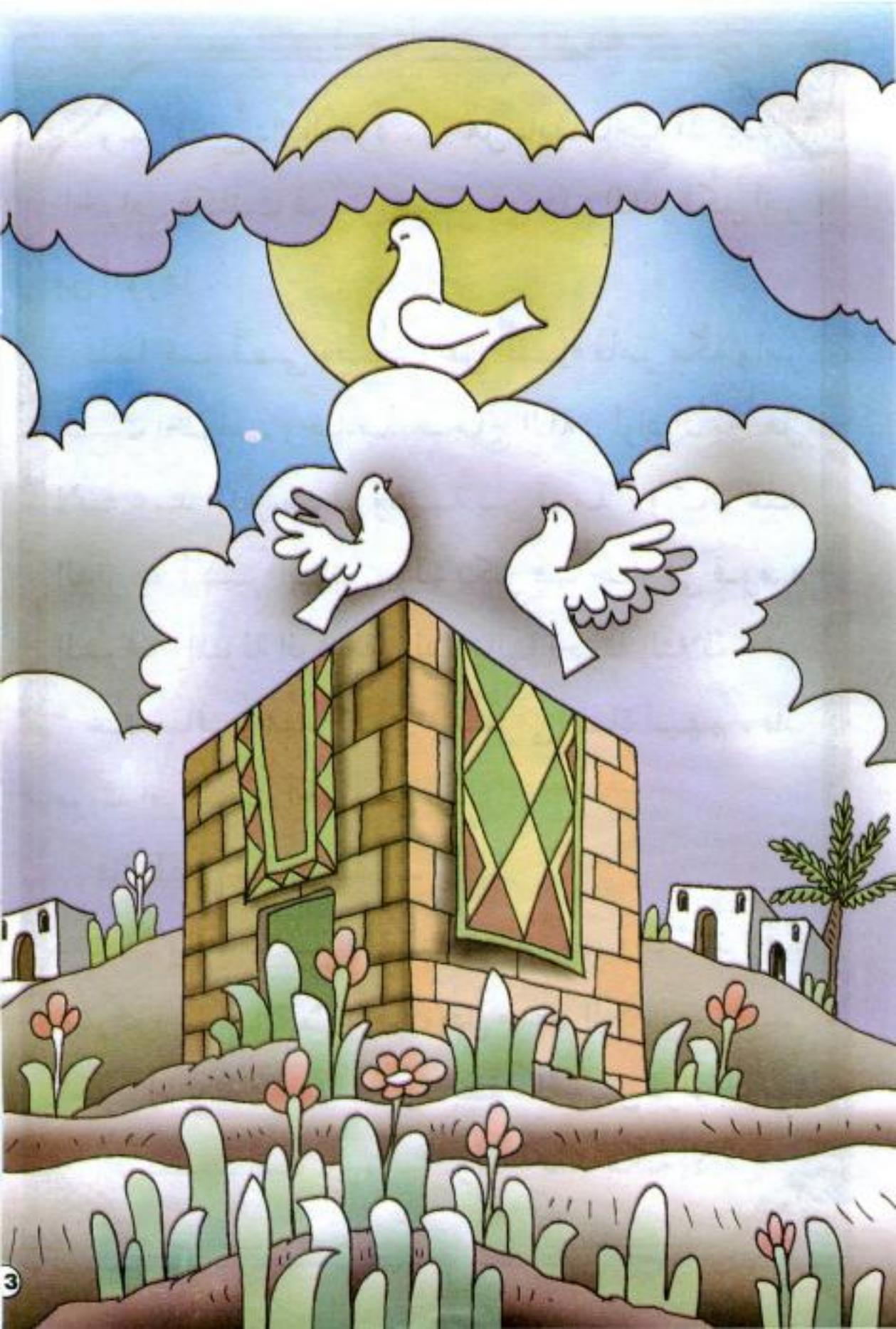
«إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ كَنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ
كَنَانَةَ قُرِيْشًا ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ قَرِيْشٍ بْنَيْ هَاشِمٍ ، ثُمَّ
اخْتَارَنِي مِنْ بْنَيْ هَاشِمٍ» ..

كَلِمَ قُصَيِّ رِجَالًا مِنْ قَرِيْشٍ وَمِنْ بْنَيْ كَنَانَةَ وَدَعَاهُمْ
إِلَى إِخْرَاجِ حُزَاعَةَ وَبْنَيْ بَكْرٍ مِنْ مَكَّةَ ، فَأَجَابُوهُ

وَنَصْرُوهُ عَلَىٰ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ ، لَأَنَّهُ كَانَ أَوْلَىٰ
بِأَمْرِ مَكَّةَ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ مِنْهُمْ ..

وَلَمَّا وَلَىٰ قُصْبَىٰ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَأَمْرَ مَكَّةَ جَمَعَ قَوْمَهُ مِنْ
مَنَازِلِهِمْ إِلَىٰ مَكَّةَ ، وَمَلَكَهُ قَوْمَهُ وَأَهْلُ مَكَّةَ عَلَيْهِمْ ،
فَكَانَ قُصْبَىٰ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنْ بَنِي كَعْبَ بْنَ لَؤَىٰ أَطَاعَهُ
قَوْمُهُ ، وَحَازَ قُصْبَىٰ شَرْفَ مَكَّةَ كُلَّهُ ، فَكَانَتْ إِلَيْهِ
الْحِجَابَةُ (أَىٰ كَانَتْ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، فَلَا
يَدْخُلُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ) ، وَالسَّقَايَةُ (وَهِيَ سَقَائِهِ
حُجَّاجُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ مِنْ بَئْرِ زَمْزَمْ ، وَكَانُوا يَصْنَعُونَ
مِنْ مَاءِ زَمْزَمْ شَرَاباً لِلْحُجَّاجِ يِمْزِجُونَهُ بِالْعُسلِ أَوِ النَّبِيْذِ) ،
وَالرِّفَادَةُ (وَهِيَ طَعَامُ كَانَتْ قَرِيشُ تَجْمِعُهُ كُلُّ عَامٍ
لِلْحُجَّاجِ ، وَيَقُولُونَ : هُمْ أَضِيَافُ اللَّهِ) ، وَالنَّدْوَةُ
(وَهِيَ الْاجْتِمَاعُ لِلتَّشَাوُرِ فِي أَمْوَالِهِمْ) ، وَاللُّوَاءُ
(وَهُوَ عَقْدُ لَوَاءِ الْحَرْبِ) .. كُلُّ هَذَا الشَّرْفِ حَازَهُ
قُصْبَىٰ وَحْدَهُ ..

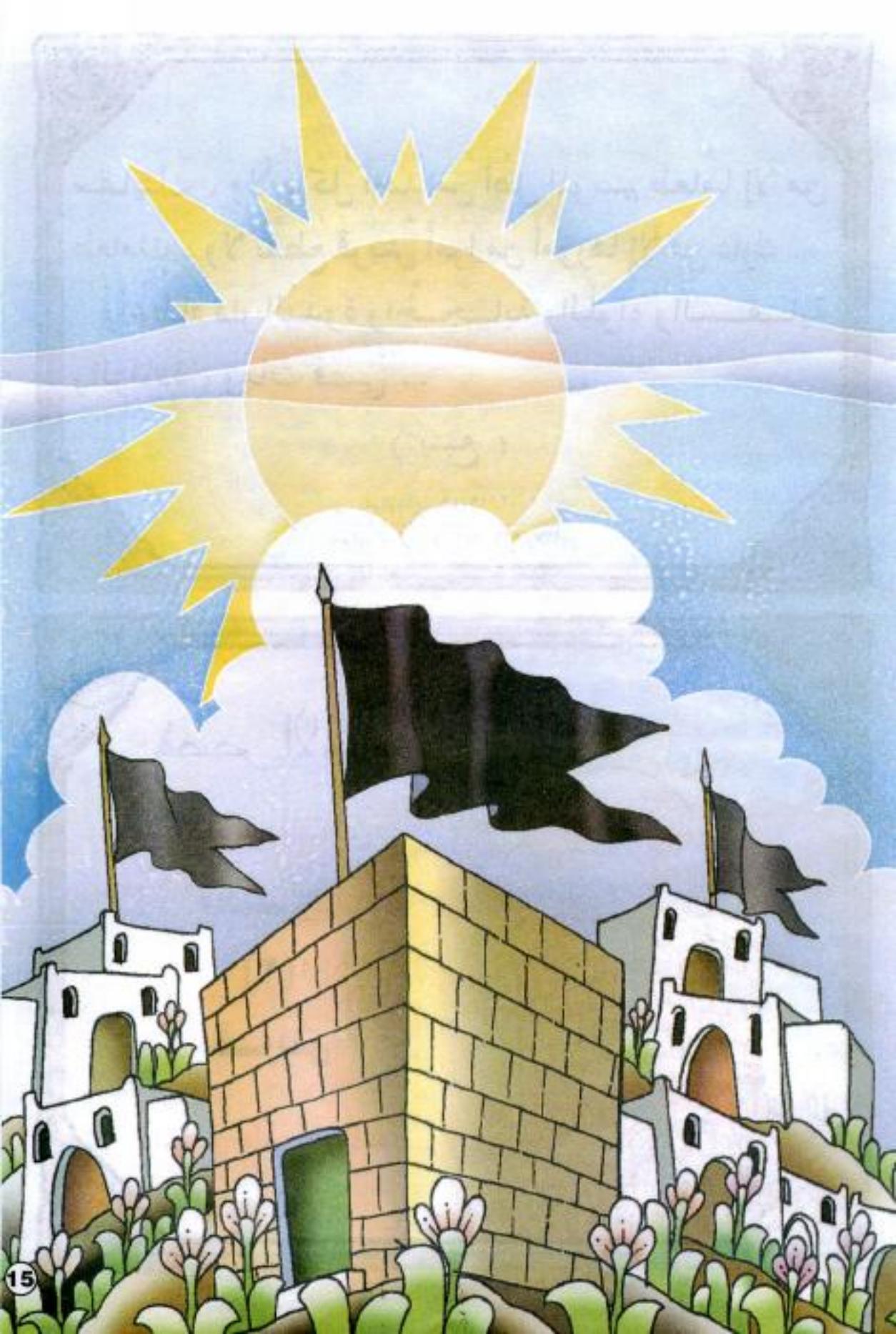
وَقَدْ قَسَمَ قُصْبَىٰ مَكَّةَ بَيْنَ قَوْمَهُ مِنْ قَرِيشٍ ، وَأَنْزَلَ
كُلُّ قَوْمٍ مِنْهُمْ مَنَازِلَهُمُ الَّتِي أَقَامُوا فِيهَا ..



وبنى قصي دار الندوة ، وجعل بابها ناحية المسجد الحرام ، فكانت قريش تجتمع في هذه الدار لـ كل أمر من أمورها ..

فلما كبر قصي وضعف عن القيام بأمر مكة وأمر البيت الحرام ، وخدمة حجاج الله ، أراد أن يجعل لابنه عبد الدار شرفا وهيبة بين قومه ، وكان عبد الدار هو أكبر أبنائه ، ولم يكن قد حاز في قومه الشرف والمنزلة الرفيعة ، التي نالها إخوته الثلاثة : عبد مناف وعبد العزى وعبد في حياة أبيهم ، بأن يورثه أمر البيت الحرام من بعده ..

قال قصي لولده عبد الدار : - أما والله يا بني لا حقنك بالقوم ، وإن كانوا قد شرفوا عليك ، لا يدخل رجل منهم الكعبة ، حتى تكون أنت تفتحها له ، ولا يعقد لقريش لواء حربها إلا بيدهك أنت ، ولا يشرب أحد بمكة إلا من



سقايتها ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك ، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلا في دارك ..
وأعطاه دار الندوة والمحاجة واللواط والسقاية
والرفادة ، ومات قصي ..

(يتبع)

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١٩٠٤٩

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٨٣٩ - ٤٦٦ - ٤٠٠

فِصْرُ الْأَنْبِيَاءَ

الكتاب التالي

محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(٢)

قريش

احرص على اقتنائه

